أروع القصص العالمية

شبح الأوبرا

أكاديميا

هذه المجموعة من روائع الأدب العالمي الكلاسيكية توفر للقارىء متعة تجعله يعيش في عالم من الإثارة والتشويق والخيال، ومرجعا أدبيا يعين الطالب في فهم مميزات الرواية الكلاسيكية والحبكة الدراسية

كتب المؤلف غاستون لورد قصة «شبح الأوبرا» في العام 1909. وهي تروي حكاية مغنية شابة تدعى كريستين داييه حققت نجاحاً باهراً في أول ظهور لها في دار الأوبرا – ثم اختفت. ماذا حدث لها، ومن هو شبح الأوبرا الغامض، وهل يكون هو السبب في اختفائها؟

في هذه السلسلة

فرانكنشتاين	جزيرة الكنز
الدكتور جيكل ومستر هايد	روبنسون كروزو
دراكولا	الحديقة السرية
شبح الأوبرا	أوليڤر تويست
20 ألف قدم تحت الماء	نداء البراري
رحلة إلى باطن الأرض	بلاك بيوتي- المهر الأسو

ISBN 9953-37-421-X



أروع القصص العالمية

شبح الأوبرا

كتبها بتصرُّف

بولين فرانسيس

ترجمة

فدى بركة

أكاديميا

شبح الأوبرا

ISBN: 9953-37-421-X

The Phantom of The Opera

First published by Evans Brothers Limited (a member of the Evans Publishing Group)
2A Portman Mansions, Chiltern Street, London W1U 6NR, United Kingdom

Academia International أكاديميا انترناشيونال
P.O.Box 113-6669 ص.ب.
Beirut - Lebanon 1103 2140 بيروت – لبنان
Tel (961 1) 800811-862905 -800832 هاتف
Fax (961 1) 805478 فاكس
E-mail: academia@dm.net.lb بريد الكتروني
www.academiainternational.com

أكاديميا هي العلامة التجارية لأكاديميا إنترناشيونال
ACADEMIA is the Trade Mark of Academia International

شبح الأوبرا

الفهرس

المقدمة

وُلِدَ غاستون لورو Gaston Leroux في باريس، فرنسا، في العام 1868. وكان ينتمي إلى أُسرةٍ ثريّةٍ جداً. بعد أن دَرَسَ الحقوقَ، ورثَ مليونَ فرنكٍ - ولكنّه أنفقَ المالَ كلَّه بسُرعةٍ فائقة! فكان عليه أن يعملَ ليكسبَ لُقمةَ عَيْشِه. بَدأَ لورو بالكتابةِ في إحدى صُحُفِ باريس، وحين بلغَ سنَّ الثلاثين من العمر، كان قد أصْبَحَ كاتباً بدوامٍ كاملٍ للقصصِ والتحقيقاتِ الغامِضة.

أَصْبَحَ غاستون لورو معروفاً سنة 1907 بفضلِ كتابِه "لغز الغرفةِ الصفراء" *Mystery of the Yellow Room* الذي قدَّمَ مراسِلاً مراهِقاً في أخبارِ الجرائم. بعد سنتين، ألَّفَ رواية "شبح الأوبرا" *Phantom of the Opera*، التي أصبحَتْ من أشهرِ رواياتِهِ اليوم.

"شبح الأوبرا" قصّةٌ مخيفةٌ ومليئةٌ بالدراما، كالأوبرا الحقيقيةِ تماماً. الشبحُ الذي يظهَرُ اسمُهُ في العنوانِ - والذي يخيفُ الجميعَ بوجهِهِ المُشوَّهِ - يعيشُ تحتَ دارِ أوبرا باريس حيث يصبحُ مهووساً بإحدى المغنياتِ وتُدْعى كريستين داييه Christine Daaé. ومع أنّه كان يَسْحَرُها بموسيقاه أكثرَ فأكثر، فقد بدأتْ تتساءلُ عمّا إذا كان شبحاً فعلاً. إنّ المبنى الذي يصِفهُ لورو موجودٌ بالفعل - وفيه أيضاً قبوٌ ضخمٌ وبُحَيْرةٌ تحتَ الأرض.

لقد أُنْتِجَ العديدُ من الأفلامِ المقتَبَسة عن هذه القصّةِ. ففي سنة 1987، أَنتجَ أندرو لويد ويبر Andrew Lloyd Webber الفيلمَ الغنائيَّ "شبحَ الأوبرا".

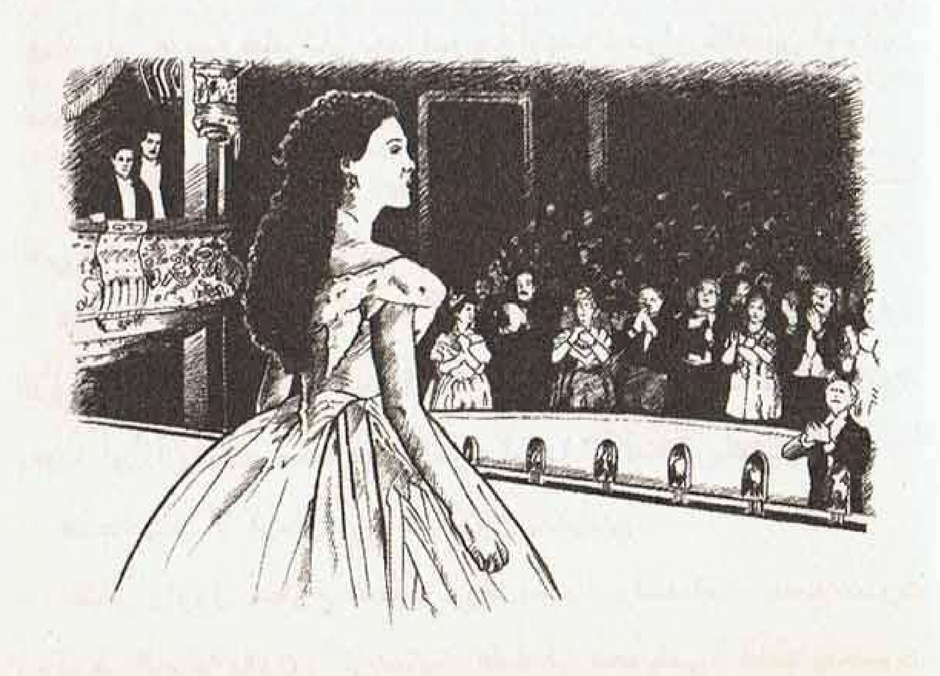
تُوفِّيَ غاستون لورو سنة 1927 وهو في عمرِ التاسعةِ والأربعين.

الفصل الأوّل

مغنّيةٌ جديدة

أنهتِ المغنِّيةُ الجديدةُ لتَوِّها أداءَها الرائعَ في دارِ الأوبرا بباريس. كانت تُدْعَى كريستين داييه. وكانت قد حلّت في اللحظةِ الأخيرة محلّ المغنية كارلوتا التي كانت متوعِّكة، ولعبتْ دورَ مارغريتا في أوبرا تدعى فوست. لم يكنْ أحدٌ قد سَمِعَ صوتاً جميلاً كصوتِها. ابتهجَ الحُضُورُ وظلَّ يصفِّقُ حتى أُنزلت كريستين عن المسرحِ وهي تبكي ويكادُ يُغمَى عليها.

كذلك فقد صفَّقَ لها الكونت دوشانيي بقوّةٍ في مقصورتهِ التي



تُطِلُّ على المسرح. وكان شاباً وسيماً في الحاديةِ والأربعين من عُمرهِ وينتمي إلى إحدى أشهرِ العائلاتِ الفرنسية. وكان أخوهُ راوول قد جلس بقُربِه وقد شَحُبَ وجهُهُ من الدهشةِ وهو يفكّرُ في نفسه :

"أتساءلُ عمّا إذا كانت كريستين ستتذكّرُني. كنّا في طفولتنا نلعبُ سويّاً على الشاطئ. عليَّ أن أذهبَ إلى الكواليس لألتقي بها."

فيما كان راوول يشُقُّ طريقَهُ نحو غُرفةِ مَلابسِ كريستين دايِيه، مرَّ بالقُربِ من بعضِ راقصاتِ الباليه. كنَّ يتكلّمْنَ عن شبحٍ يسكُنُ الأوبرا منذ بعضِ الوقت، وكيف كان يظهرُ من العَدَمِ على شكلِ رَجُلٍ يرتدي بِذلةٍ سوداءَ – وكيف كان يختفي كلّما رآهُ أحدُهم.

كان جوزيف بوكيه، المسؤولُ عن تبديلِ ديكورِ المسرح، قد التقى به مرّةً على السُلّمِ المؤدّي إلى القَبْو. وأخبرَ الجميعَ فيما بعد أنّ بَشْرةَ الشَبَحِ صفراءُ ومشدودةٌ بقوّةٍ على وجههِ بحيث يبدو كوجهِ إنسانٍ ميت، وأنَّ عينَيْه غائرتانِ جداً لدرجةِ أنّهما تبدُوان كَثقبَيْن أسودَيْن كبيرَيْن. أمّا أنفُه فهو صغيرٌ جداً، وهو أصلعٌ نوعاً ما.

دخلَ راوول دوشانيي غُرفةَ ملابسِ كريستين دايِيه في اللحظةِ التي كانت تفتحُ فيها عينَيْها. فهمستْ قائلةً: "سيدي، مَنْ أنت؟"

قبّلَ راوول يدَها وسألها : "ألا تتذكّرينَني؟ إنّني الصبيُّ الصغيرُ الذي غطسَ في مياهِ البحرِ ليسترجِعَ وِشاحكِ عندما طيَّره الهواءُ بعيداً. أودُّ أن أتكلَّمَ معك على انفرادٍ أيتها الآنسة كريستين."

فأجابَتْ : "لا! ارحلْ! أريدُ أن أكونَ بمُفردِي."

انتظرَ راوول بفارغِ الصَبْرِ وراءَ بابها. ولدهشتِهِ، سمِعَ صوتَ رجلٍ في الغرفة يقول : "كريستين، عليكِ أن تُحِبِّينني!" فأجابَ صوتُ

كريستين المرتجِف : "كيف يُمكِنكَ أن تتكلّمَ هكذا، وأنا لا أغنّي إلا لكَ أنتَ فقط! لقد وهبتُكَ رُوحِي هذه الليلة."

لم يسمَعْ راوول المزيد. فقد تسلّلَ إلى زاويةٍ مظلمةٍ فيما راح قلبُه يخفِقُ بسرعةٍ وهو ينتظرُ رحيلَ الرجل. كان يعلمُ أنه يُحِبُّ كريستين دايِيه وكان يكرهُ هذا الرجل الذي في غرفتِها.

أخيراً، خرجَتْ كريستين ولكنَّها لم ترَ راوول. وبعد رحيلها، دخل إلى غُرفتِها، وكان المصباحُ مُطْفَأً، فوقفَ جامداً في الظلامِ الحالك.

أشعلَ عودَ كِبريتٍ وصاح : "لِماذا تختبئ؟ إذا لم تُجْبني فأنت جبان!"

أنارَ عودُ الكبريتِ الغرفةَ – لكنّها كانت فارغة.

انتظرَ راوول عَشْر دقائقَ ثمّ قرّرَ أن يغادِرَ الغرفة. وفيما كان يعبرُ البابَ، صفقَتْ وجهَهُ نسمةٌ باردةٌ. هامَ في الأروقةِ من دونِ أن يعرفَ وُجهَتَه. وفجأةً، وعند أسفلِ سلّمٍ، كان عليه أن يفسَحَ الطريق أمامَ مجموعةٍ من الرجالِ يحمِلونَ شخصاً مغطّىً بشرشفٍ أبيض على حمّالة.

فسأل : "من هذا؟"

فأجابَهُ أحدُ الرجال : "إنّه جوزيف بوكيه. لقد وجدناه مَيْتاً خلف السِتارِ في القبوِ الثالث."

الفصل الثاني

ملاكُ الموسيقى

لم تُكمِل كريستين دايـيـه نجاحَـها في دارِ الأوبرا. فبعد ذلك المساء، رفضَتْ أن تُغنّي مجدّداً، وكأنّها خائفةٌ من نجاحِها الجديد.

أرسلَ لها راوول العديدَ من الرسائلِ طالباً اللقاءَ بها. وأخيراً بعثَتْ إليه بهذهِ الرسالة القصيرة:

"سيّدي،

إنّني لم أنسَك أبداً، ذاكَ الصبيّ الصغير الذي استرجَعَ وِشاحي. غداً يُصادِفُ ذِكرى وفاةِ والدي العزيز الذي عرفته. إنّه مدفونٌ في بيروس وسوفَ أذهبُ إلى هناك لأزورَ قبرَه. كريستين دايـيه."

لِماذا كتبَتْ له؟ هل أرادته أن يلحقَ بها؟ ارتدى راوول ملابسَهُ بسُرعةٍ وأسرعَ إلى محطّةِ القطار. وخلالَ رحلتِهِ الطويلة إلى بيروس، وهي مدينةٌ تقعُ على شاطئِ فرنسا الشمالي، لم ينفكّ راوولُ يفكّرُ بكريستين. كان يعلمُ أنه يُحِبّها.

كانت كريستين دايـيـه سُوَيْديّةَ الأصل. وكان والدُها مُزارِعاً بسيطاً لكنَّه كان يعزِفُ على الكمانِ أفضلَ من أيِّ شخصٍ آخر. وفي أحدِ الأيام، وفيما كان يعزِفُ في أحدِ المهرجانات، وكانت كريستين تصاحِبُه بالغناء، سَمِعَهما البروفسور فاليِرْيوس. وكان هو الذي أحضرهُما إلى فرنسا ودفعَ تكاليفَ تعليمِ كريستين الموسيقى

والغِناء. وكانوا يُمضون كلَّ عُطَلِهم الصيفيةِ في بيروس على الشاطئِ كما كان يفعلُ راوول.

وعندما كان راوول فتياً، كان يستمتعُ بالإصغاءِ إلى القِصصِ التي كان والدُ كريستين يعرفُها عن ظهرِ قلب.

كان يقولُ لهم: "إنَّ كلَّ موسيقارٍ عظيمٍ يتلقّى زيارةً من مَلاكِ الموسيقى مرّةً واحدةً في حياته على الأقلّ. لم يرَ أحدٌ هذا الملاكَ إطلاقاً، لكنّ صوتَه يبقى في ذاكرتِهم طيلةَ حياتِهم."

بعد ثلاثِ سنوات، تُوفّيَ الرجلُ العجوز.

في بيروس، التقَى راوول بكريستينَ في الفُندق. ولم تبدُ عليها الدهشةُ عندما ظهَرَ أمامها. بلْ قالَتْ له بهُدوء: "ها قد أتيتَ. كنتُ أعلمُ أنكَ ستفعل."

فأجابَ راوول: "أجل. يجبُ أن تُدركي أنّني أحبُك يا كريستين، وليسَ في وُسعي العيشُ بدونِك."

احمرَّتْ وجْنَتا كريستين وأشاحَتْ بوجهِها عنه وقالت: "أنا؟ إنّك تحلمُ يا صديقي." ثمّ ضَحِكت وتابعَتْ: "ربّما أخطأتُ حين كتبتُ إليك، لكنّ رؤيتَكَ في الأوبرا ذكّرتني بأوقاتٍ سعيدة."

قال راوول: "لا تَسْخري مني يا كريستين. لِمَ تُعامِلينَني بهذه الطريقة؟"

لكنّ كريستين لم تُجِب.

فقال راوول: "أعتقدُ أنّني أعرفُ الجواب. كان هناكَ رجلٌ في غُرفتِكِ ذلك المساء. شَخْصٌ قُلتِ له: "أنا لا أغنّي إلا لكَ وحدَك!" وقال لك: "كريستين يجِبُ أن تُحبِّيني!"."

شحُبَ وجهُ كريستين لدى سَماعِها هذه الكلمات، وبدَتْ وكأنّها على وَشْكِ أن يُغْمَى عليها. ففاضَتِ الدُموعُ من عينَيْها وسالَتْ على خدِّها ثمّ ركَضَتْ إلى غرفتِها. لم يعرفْ راوول كيف يتصرّف، وفي النهايةِ قرّرَ أن يزورَ قبرَ والدِها هو أيضاً. وفيما كان واقفاً هناك، انضمَّتْ إليه كريستين وقالت له:

"اسْمَعْ يا راوول، سأقولُ لكَ أمراً في غايةِ الجِدِّية. أتتذكَّرُ أسطورةَ مَلاكِ الموسيقى؟"

فأجابَ راوول : "طبعاً، لقد رَواها لي والدُك لأوّلِ مرّةٍ هنا في بيروس."

قالت كريستين : "لقد زارَني مَلاكُ الموسيقى."

أجابَ : "ليس لديَّ أيَّ شكٍّ في ذلك. ما مِنْ إنسانٍ يُمكنُه أن يُغنِّي كما فعلتِ ذاك المساء. كانَ ذلك مُعجِزة. ما من أستاذٍ يمكِنُه أن يعلِّمَكِ ذلك. أجل، لقد سمِعتِ مَلاكَ الموسيقى يا كريستين."

قالت : "إنه يأتي إلى غُرفةِ ملابسي. إنّني أسمعُه هناك. كما سمِعتَه أنت هناك."

فضَحِكَ راوول : "أعتقدُ أنّ أحدَهم يمزحُ معكِ يا كريستين."

صرخَتِ كريستين وهربَتْ مبتعِدةً عنه. لم يرَها راوول مُجدَّداً لحينِ المساء، حيث رآها في الساعةِ الحاديةَ عشرة والنصف تُغادرُ غرفتَها وتنزلُ إلى الطابقِ السُفليّ. فتبِعَها إلى الكنيسة.

قال في نفسِه : "أُريدُها أن تلتفِتَ إلى الخلفِ لتَراني، لكن يبدو أنها لا تَسْمَعُني، رغم أنّ وَقْعَ خُطُواتي مرتفعٌ على الثلج."

جثَتِ كريستين قُربَ قبرِ والدِها وأخذت تُصلّي. وعندما دقّتْ

ساعةُ الكنيسةِ مُعلنةً منتصفَ الليل، نظرَتْ إلى السماءِ ومدَّتْ ذِراعَيْهَا. سمِعَ راوول صوتَ موسيقى الكمان، موسيقى كان يعزِفُها والدُها لهما حينما كانا طفلَيْن صغيرَيْن. ثمّ وقفَتِ كريستين ومَشَتْ مُبْتعِدةً.

استدارَ راوول ليلحقَ بها مُجدَّداً لكنَّهُ رأى ظِلاًّ ينسابُ إلى داخلِ الكنيسة، فأمسكَ بطَرَفِ ردائِه. وفي تلكَ اللحظة، لمعَ نورُ القمرِ عَبْرَ النافذةِ فوقَ المذْبَح. التفتَ الظلُّ فرأى راوول رجلاً أَخْفَى نصفَ وجهِه بقِناعٍ. حدّقَتْ عينا الظِلّ فيهِ مباشرةً فارتعَدَ راوول من شدّةِ الخوف.

لقد شعرَ وكأنَّه يقفُ وَجْهاً لوجهِ أمامَ الشيطان!

الفصل الثالث

المقصورة الخامسة

أصبحَ لدارِ الأوبرا مُديرانِ جديدان، سيد يُدْعى ريتشارد وسيد يُدْعى مُونْشارمان. وكانا فرِحَيْن بعملِهما الجديد لدرجةِ أنَّهما نسيا كلَّ الإشاعاتِ التي انتشرتَ عن الشبح – إلى أَنْ حلَّ اليوم الذي وصَلَتْهُما فيه رسالةٌ منه وجاء فيها:

"أيها المديرَانِ العزيزَان، لقد وصلتُ إلى الأوبرا مؤخَّرًا لأجدَ أن مَقْصُورتي – المقصورةُ الخامسة – قد بِيعَتْ لشخصٍ آخر. كان المدراءُ السابقون دائماً لُطفاءَ في تعامُلِهم معي. إذا كنتُما تُريدانِ العيشَ بسلامٍ، لا تَسْلِباني مَقصُورتي.

شَبَحُ الأوبرا"

فكَّر الرجلانِ قائلين: "هذه المزحةُ ليستْ مُضحِكَة. سوف نبيعُ تذاكرَ المقصورةِ الخامسةِ هذه الليلة للجُمهورِ كالمُعتاد."

في اليومِ التالي، وصَلَتْهُما تقاريرُ عن صَخَبٍ مُزعِجٍ جدًا في المقصورةِ الخامسةِ لدرجةِ أنهُ توجَّبَ عليهما طلبَ الشُرطة. ثم أرسلا بطلبِ السيدة جيري التي كانت تهتمُّ بالمقصُورة، فسألها السيد ريتشارد:

"ما الذي حصلَ ليلةَ أمس؟"

فشرحَتْ له الأمرَ قائلةً: "انزعجَ الشبحُ لأنَّكما أجرْتُما مقصورتَه! المدراءُ الذين كانوا قبلَكُم لم يؤْمِنوا بوُجودِه أيضاً إلى أن أسْقطَهُم

من أعلى الدرجِ حين جلسوا في مقصورتِه. ومنذُ ذلكَ الحين وهم يحجزونَها له."

فسألها السيدُ مونشارمان: "هل سبقَ أن رأيتِ الشبَح، يا سيّدتي؟"

فأجابَتِ السيدةُ جيري: "لا، لكنَّني غالباً ما أسمعُ صوتَه. إنّه يصِلُ عادةً في منتصفِ الفصلِ الأوّل من المسرحيّة. يدقُّ بخفّةٍ ثلاثَ مرَّاتٍ على الباب، ويقولُ إنه شبحُ الأوبرا وأنه لا داعي أبداً لأنْ أخاف."

قرَّر المديرانِ أن يُحقّقا في أمرِ المقصورةِ الخامسة بنفسيهما. كان الهدوءُ سائدًا على المسرحِ المُظلمِ الضَّخْم. وكانت تصِلُ أشعَّةٌ قليلةٌ غامضَةٌ من الضوءِ إلى المسرح. وفي وَسَطِ العتمة، شاهدا شَكْلاً في المقصورَة. لم يتفوَّهْ أيٌّ مِنهما ببنْتِ شَفَة، بل وقفا للحظةِ يحدّقانِ به إلى أنِ اختَفى. وعندما دخلا إلى المقصورة تبيّن لهما أنّها خالية.

قال السيدُ ريتشارد: "هناك شخصٌ يستخِفُّ بنا! سنعرِضُ أوبرا فوست مُجدّداً عشيةَ يومِ السبت. وسوف نُشاهِدُها سويًا من هذه المقصورة."

في صباحِ يومِ السبت، تلقّى المديرانِ رسالةً أخرى:

"أيها المديران العزيزان،

هل أعلنتُما الحربَ بيننا إذاً؟ إذا كنتُما لا تزالانِ تُريدان السلام، عليكُما أن تُعيدا إليَّ مقصورَتي الخاصّة وعلى كريستين دايِيه أن تغنّي في دَوْرِ مارغريتا هذه الليلة.

أما إذا رفضتُما، فسوف تحِلُّ اللعنةُ على دار الأوبرا هذه. اصْغِيا إلى تَحْذيري.

شبحُ الأوبرا"

"لقد سئِمْتُ منه!"، صاحَ السيدُ ريتشارد ضارِباً بقبضتِه الطاولةَ.

وفيما كان يتكلّمُ، دخلَ سائِسُ الخيل. كان الإسطبلُ يقعُ في قَبْوِ الأوبرا وفيه يتمُّ ترويضَ اثني عشرَ حِصاناً لموكِبٍ سيُعرضُ في مسرحيّةٍ قادمة.

كان سائسُ الخيلِ مُضْطَرِباً جداً، فخاطَبَ السيدَيْن قائلاً: "لقد سُرِقَ الحِصانُ الأبيض. قَيْصر. ليس لديَّ أيُّ شكٍّ في هُوِيّةِ الفاعل. إنّه الشبَح. رأيتُ ظِلاً أسودَ يركَبُ حصاناً أبيضَ يبدو تماماً مثل قيصر."

سألَ السيدُ ريتشارد: " وهل لحِقتَ بِهما؟"

فأجابَ سائسُ الخيل: "فعلتُ، وناديتُهما، لكنَّهما كانا أسرَعَ منّي بكثير. لقد اختفيا."

وقفَ السيِّد ريتشارد وقال: "هذا كلُّ شيء، يُمكنكَ الانصراف." ثم ابتسَمَ مكتئِباً وأضاف: "سوف نقدِّمُ شَكْوى ضدّ الشبح."

حينَ غادرَ سائسُ الخيل، التفت السيدُّ ريتشارد إلى شريكِه وقالَ له: "علينا أن نطرُدَه فوراً. سوف يروي قصَّةَ الشبحِ ويجعلُ منّا أُضْحُوكَةً للجميع. وعلينا كذلك أن نطرُدَ السيّدةَ جيري من وظيفتِها."

كانت كارلوتا، التي كان من المقرّرِ أن تلعَبَ دورَ مارغريتا، تفتحُ رسائِلَها في الصباح. وكانت إحدى هذه الرسائل مكتوبةً بحبرٍ أحمر وبخطٍّ رديء، وجاء فيها: "إذا غنيْتِ هذه الليلة، فكوني مستعدَّةً لبلاءٍ عظيم. بَلاءٌ أسوأُ من الموت."

كانت كارلوتا قد تلقّتْ رسائلَ تهديدٍ من قبل، لكنَّها لم تكُنْ على هذا القدرِ من التحذيرِ والوعيد.

فقالَتْ في نفسِها: "سوفَ أُغنِّي دورَ مارغريتا الليلة حتّى لو كنتُ سأموت."

وفي المساءِ وَصَلَتْها رسالةٌ ثانية: "لو كنتِ حكيمةً، لعرَفتِ أنّه من الجنونِ أن تُغنِّي الليلة."

لم تُعِرْ كارلوتا أيَّ اعتبارٍ للتهديدات. بل احتفظَتْ بدَوْرِ مارغريتا في الغِناء، فيما أخذتِ كريستين داييه دوراً أصغر. مرَّ الفصلُ الأوَّلُ من مسرحيَّةِ فوست من دون أيِّ حادثٍ لأنّ مارغريتا لم تظهرْ فيه.

وفي الفصلِ الثاني، صَعِدتْ كارلوتا إلى المسرح. واستقبلَها الجمهورُ بفَرَحٍ كبيرٍ وصفَّقَ لها تَصْفيقاً لم يسبِقْ له مثيل. ثمّ انضمَّ إليها فوست على المسرح. وعندما ركعَ على رُكبةٍ واحدةٍ ليُغني لها، فتحَتْ كارلوتا فمَها لتَصْحَبَه في الغناء – ولكنّها أخذت تنقّ كالضِّفْدَع.

شهِقَ المديرانِ في المقصورةِ الخامسةِ مَذْعورَيْن. وارتجفا عندما شَعَرا بوجود الشبحِ حولَهما. أرادا أن يفِرّا لكنهُما لم يملِكا الجرأةَ لذلك.

ثم نقّتْ كارلوتا مُجدَّداً.

فصاحَ بها السيد ريتشارد: "غنّي!"

أعادَتْ كارلوتا الجملةَ مجدَّداً – وكانت تنقّ.

كان الشبحُ يضْحَكُ في نفسِه في المقصورةِ الخامِسة. ثمّ سمِعَ المديران في أذنَيْهما صوتَه الذي لا يخرُجُ من بين شفتيه: "إنها تُغنّي هذه الليلة لكي تسقطَ الثُريّا!"



رفعا أعْيُنَهما إلى السقفِ وأطْلَقا صيحةً عالية. كانتِ الثُريَّا تنزلِقُ باتجاهِهِم مُحدِثةً ضجّةً عنيفَة. ثم تحطّمتْ على المقاعِدِ الأماميَّةِ وَسْطَ مئاتِ الصَّيْحاتِ المرتَعِبة.

أُصيبَ العديدُ من الناسِ بجُروحٍ تلكَ الليلة – وقُتلتِ امرأةٌ واحِدَةٌ – هي المرأةُ التي أخذَتْ وظيفةَ السيّدةِ جيري.

كانت تلكَ الليلةُ المأساويَّةُ سيئةً على الجميع. وعلى الرغمِ من أنَّ الخبيرَ أفادَ بأنّ سببَ الحادثةِ هو اهتراءُ السلاسِلِ التي كانت تحملُ الثريّا، فإنّ المديرانِ فَقَدا الثقة بنفسَيْهما. وأعادا توظيفَ السيدةِ جيري.

لكن أمراً آخرَ كان قد حصلَ ذلك المساء : لقد اخْتَفَتِ كريستين دايِيه. وبعد أسبوعَيْن، كانت لا تزالُ مفقودةً.

الفصل الرابع

الصوتُ

كان راوول قلقاً جداً على كريستين، فحضرَ إلى دارِ الأوبرا ليسألَ المديرَيْن عمّا إذا كانا على عِلْمٍ بمكانها.

شرحَ له السيدُ مونشارمان الأمرَ بقولِهِ : "لقد تقدّمت بطلبِ إجازةٍ طويلةٍ لأسبابٍ صِحيَّة."

فصاحَ قائلاً: "إنها إذاً مريضةٌ!"

أجابَ السيد ريتشارد : "لا نعلم. فهي لم تطلُبْ رؤية طبيب."

كانت أفكارُ راوول كئيبةً حين غادرَ الأوبرا متوجِّهاً إلى البيتِ الذي تقطُنُ فيه كريستين مع السيِّدةِ فاليريوس. وكان يعلمُ أنَّ كريستين ذاتَ مُخيِّلةٍ خَصْبةٍ وأنها تفكِّرُ دوماً بأبيها المتوفَّى. وكان للموسيقى تأثيرٌ كبيرٌ عليها.

وفكّرَ في نفسِه قائلاً: "قد تَقَعُ بسهولةٍ ضحيَّةَ شخصٍ خبيث."

استقبلَتْهُ السيِّدةُ فاليريوس بلُطْفٍ، وصاحَتْ : "سيد دو شانيي! كم إنني مسرورةٌ برؤيتك! الآن يمكِنُنا أن نتكلّمَ عن كريستين."

فسألها راوول : "ولكن أين هي يا سيِّدتي؟"

فأجابَتِ السيدةُ العجوز : "إنها مع مَلاكِ الموسيقى. غالباً ما تتكلّمُ عنك أيّها السيّدُ راوول. إنَّها مُولَعَةٌ بك، لكن لا بدّ أنك تعلم أنّها ليست حرّةً لترتَبِطَ بك."

فسأل : "لمَ لا؟"

أجابتِ السيدة فاليريوس : "إنَّ ملاكَ الموسيقى يمنعُها من ذلك ويقولُ لها إنها لن تسمعَ صوتَه مُجدَّداً إذا تزوجتْ. وهي لا تستطيعُ أن تعيشَ من دونِ ملاكِها. إنه هو الذي عزَفَ على الكمان على قبرِ والدها."

قال راوول : "سيِّدتي، كم مَضَى على معرفتها بهذا الملاك؟"

قالت له : "حوالي ثلاثةَ أشهر. فقد بدأ بإعطائِها دروساً في غرفةِ ملابسِها في دار الأوبرا، لكنّني لا أعلمُ أين تتلقّى دُروسَها الآن."

غادرَ راوول السيدة فاليريوس غاضِباً، وقال في نفسِه : "من الواضِحِ أنَّ كريستين تُحِبُّ رجُلاً آخر."

ثم توجَّهَ مباشرةً إلى منزلِ أخيهِ وراح يبكي بين ذراعَيْهِ كالطفل.

فقال أخوهُ : "عليّ أن أخبرَك أنّ أحدَ الأشخاصِ قد رأى كريستين دابيه في المُنْتَزهِ الليلَة الفائتة برفقةِ رجل."

كان راوول تعيساً جداً. فذهبَ ذلك المساء إلى المُنتزهِ ليترقّبَ مُرورَ كريستين! كان البردُ قاسياً وكانت الطريقُ تلمعُ تحتَ ضوءِ القمر. انتظرَ راوول طويلاً. وأخيراً، ظهرَتْ عَرَبةٌ على منعطفِ الطريقِ وتوجَّهَتْ نحوه. ثمّ أطلّتِ امرأةٌ رأسَها تحت نورِ القمرِ الشاحِب.

فصاحَ راوول : "كريستين!"

فجأةً، أُغْلِقَتِ النافذةُ واختفى وجهُها. أسرعَتِ العَرَبةُ في الابتعاد، فركَضَ راوول خلفها وهو يُنادي اسمَ كريستين، ولكنّها لم

تُجِب. فوقفَ في السُكونِ يحدِّقُ في هذه الطريقِ الباردة. وكان قلبُهُ بارداً مثل هذه الطريق، لأنّ كريستين لم تستجِب لصرختِه.

***

في صباحِ اليوم التالي، تلقّى راوول رسالةً داخلَ مغلّفٍ ملطَّخٍ بالطِّين وليسَ عليهِ طابعٌ بريديّ.

وقرأ : "إلى الفيكونت راوول دو شانيي : اِذهبْ إلى الحَفْلِ التنكّري في الأوبرا ليلةَ بعد غد. ضَعْ قِناعاً ومِعطَفاً أبيضَ له قبّعة. كريستين."

فكّرَ راوول في نفسِه قائلاً: "لا بُدَّ أنها رَمَتها من العربةِ على أملِ أن يَلتقطَها أحدُ المارَّةِ ويسلِّمها إلي."

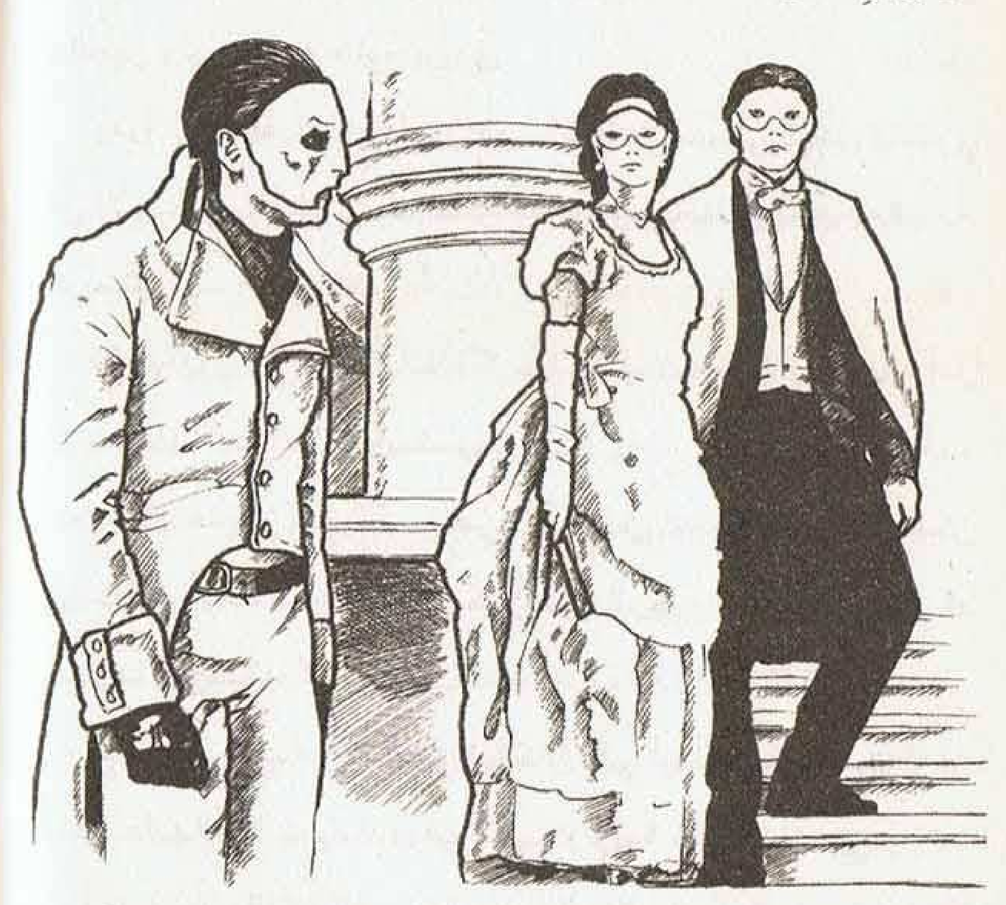
وسألَ نفسَه : "سجينةٌ مَنْ هي؟ أيُّ وحشٍ اختطفَها؟ وكيف تمكّنَ من ذلك؟ طبعاً! لا بدّ من أن يكون ذلك الرجل، كائناً من كان، قد سحرَها بمُوسيقاهُ الجميلة."

ثمّ فكّرَ في نفسه : "لا أدري إذا كان عليّ أن ألْعَنَ كريستين أو أن أُشفِقَ عليها! فلا خِبرةَ لديّ في الحُبّ، ولربما كانت تخدَعُني."

أخيراً حلّتِ الليلةُ التي يُقامُ فيها الحفلِ. شعرَ راوول بالسَّخافةِ وهو يرتدي مِعطَفه الأبيضَ وقِناعَه ذا الرباطِ العريض. لكنّ أحداً لن يتعرّفَ عليهِ بهذه الطريقةِ على الأقل! وقبل حُلولِ منتصفِ الليل بقليل، فيما كان ينتظرُ، لمسَ يدَه بخفّةٍ شخصٌ يرتدي مِعْطفاً أسود.

سأل : "أهذه أنتِ، يا كريستين؟"

وضَع الشخصُ إصبعَهُ على شفَتيْه لكي يُحذِّرَهُ من عدَمِ لفظِ هذا الاسمَ مجدَّداً ومشى. فتبِعَه راوول. ومرّ بالقُربِ من مجموعةٍ من الناسِ مُحْتشِدينَ حولَ رجلٍ يرتدي زيّاً قرمزيَّ اللونِ ويغطّي قناعٌ كلَّ وجهِه تقريباً.



فصاحَ راوول لكريستين: "إنّه يرتدي القناعَ نفسَه الذي كان يرتديهِ الرجلُ الذي رأيتُهُ في بيروس! لن يفِرَّ منّي هذه المرّة."

قادتِ كريستين راوولَ بسرعةٍ إلى مقصُورةٍ معزولةٍ وصفقَتِ الباب وراءها.

وسألت: "مَن تعْني؟"

فأجابَ راوول بغضَب: "مَن أعني؟ الرجلُ الذي يَختَبئُ وراءَ هذا القناعِ القبيح، طبعاً! صديقُك، يا سيّدتي... مَلاكُ الموسيقى! سوف أنزعُ هذا القِناعَ عن وجهِه وننظُر الواحدُ منّا إلى الآخرِ وَجْهاً لوَجْه."

لكن كريستين لم تَسمَحْ له بالذهاب. وقالت له: "لقد أتيتُ لأطلِعَكَ على سرّي. لكن لم يَعُدْ بإمكاني ذلك بعدما فقدتَ ثقتَكَ بي." ثم مشَتْ مبتعِدةً عنه وأضافت: "لا تلحَقْ بي."

لم يلحَقْ بها راوول، لكنه عند انتهاءِ الحفلِ الراقص، ذهبَ إلى غُرفةِ ملابسِ كريستين. لم تكُنْ هناك. لكنّه سمِعَ وقعَ خُطىً تقتربُ من الخارج، فاختبأ وراءَ السّتارة. دخلتِ كريستين ورمَتْ قناعَها على الطاولةِ فصدَمَهُ شُحوبُ وجهِها. ثم همسَتْ: "إريك المسكين."

جلسَتْ على كُرسيِّها وبدأت تكتُبُ رسالةً. فجأةً، توقّفَتْ وبدَا عليها وكأنّها تُصْغي. كان صوتُ الغناءِ يصِلُ بخُفوتٍ عبر الجدران. وكان هذا الصوت صوتَ رجلٍ وكان رائعاً. وقفتِ كريستين وقالت: "ها أنا يا إريك. إنني مستعدّةٌ، لكنك تأخّرت."

استرقَّ راوولُ النظرَ من خلفِ السّتارة فلم يرَ أحداً في الغرفة. كان وجهُ كريستين قد أشرقَ وارتسمَتِ ابتسامَةٌ عريضةٌ على شفتَيْها الشاحبتَيْن. استمرَّ الصوتُ بإنشاد أغنيةٍ من أغنياتِ روميو وجولييت.... "القدَرُ يربطُني بكِ إلى أبدِ الآبدين!"

مدّتِ كريستين ذِراعَيْها وأخذَتْ تمشي نحو المرآةِ التي كانَتْ

تغطّي جداراً كاملاً من جدرانِ الغرفة. خرجَ راوولُ من مخبئهِ واتَّجهَ نحوَها. ثمّ مدّ ذراعَيْه ليضُمَّها ولكنّ نَسْمةً ثلجيَّةً صَفَعَت وجهَه. وقعَ على الأرضِ وبدأتْ تتراءَى في ذهنِهِ عَشَراتُ الصُوَر لكريستين وهي تدورُ حَوْلَه.

عندما عادَ إلى طبيعته، كانت كريستين قد اختفَتْ من الغرفةِ وكان الغناءُ لا يزالُ فيها مسموعاً.

الفصل الخامس

شبحُ الأوبرا

في اليومِ التالي، تفاجأَ راوول حين وجدَ كريستين سالِمةً في منزِلِها.

فقال لها : "هناك لُغْزٌ كبيرٌ حولكَ يا كريستين، لُغزٌ أخطرُ من مجرَّدِ شَبَح. لمَ لا تقولين لي أين كُنتِ في الأسبوعَيْن الماضيَيْن؟ عليكِ أنْ تسمحي لي بحمايتك."

فأجابَتْ بغضَبٍ : "إنني مسؤولةٌ عن تَصَرُّفاتي يا راوول."

فقال : "إنك واقعةٌ تحتَ تأثيرِ نوعٍ من السِحر يا كريستين، سِحرٌ بالغُ الخُطُورة. تعلمينَ أنَّ ملاكَ الموسيقى ليس حقيقياً. قولي لي، أرجوكِ! صَوتُ مَنْ ذاك؟ مَنْ هُو إريك؟"

شحُبَ وجهُ كريستين وقالت : "راوول، اِنسَ صوتَ الرجل. لا تتذكَّرِ اسمَه أيضاً. عليك أن تكُفَّ عن مُحاولةِ حلِّ اللُّغز. عِدْني بذلك."

فوعَدَها راوول بذلك. ثمّ تركها وهو يلْعَنُ إريك.

***

كان راوولُ تعيساً لدرجة أنّه قرَّرَ الرحيل إلى باريس. وأخبر كريستين قائلاً: "سوف أنْضمُّ إلى بعثةٍ عسكريَّةٍ إلى القطبِ الشمالي في الشهرِ القادم. قد أموتُ ولا أتمكَّنُ من رؤيتكِ ثانيةً."

فأجابتِ كريستين : "قد أموتُ أنا أيضاً."

ولشدّة دهشة راوول، فقد كانت الأسابيعُ التي تلَتْ ذلك الحديث من أسعدِ الأيامِ التي عرَفَها. أمّا كريستين، فقد حلّتْ محلّ كارلوتا في دورِ مارغريتا وحققتْ نجاحاً منقطِعَ النَّظير من جديد.

وكانت قد رافقتْ راوول في جولةٍ عرّفتهُ فيها على أقسامٍ من دارِ الأوبرا لم يكن قد رآها من قبل، لكنّها كانت دوماً حَذِرةً من الاقتراب من الأبوابِ التي في أرضِ المسرح. وكانت تقولُ وهي ترتجِف : "كلّ ما هو تحت الأرض يَخُصُّه!"

لكنّ أمراً واحداً كان ينغّصُ هذه السعادة –وهو أن كريستين كانت تَختفي أحياناً ليومٍ أو يومين ثمّ تعودُ تعيسةً وشاحِبة يغطّي الاحمرارُ عينيها. وقبل أن يرحلَ راوول إلى باريس بيومٍ واحد، لم يعُدْ بإمكانهِ أن يحتملَ الوَضْع، فقال : "لن أرحلَ قبل أن تُطْلِعيني على سِرِّك. أريدُ أن أخلِّصَك من سُلطةِ إريك."

فقالتِ كريستين : "صَه! قد يسمعُك. اتبَعْني." وقادَتْهُ إلى سطحِ دار الأوبرا. كانت باريس بأكملِها تمتدُّ أمامَهُم تحتَ أشعَّةِ شمسِ الربيعِ المنعِشَة. ولم يريا شَكْلَ الظِلّ الذي يقفُ وراءهما. فبدأتِ كريستين بالكلام : "إنَّهُ شرّيرٌ يا راوول. لقد سَمحَ لي باللقاءِ بكَ في هذا الوقتِ فقط لأنكَ راحِل. لم يبقَ لدينا إلا يومٍ واحد، وإذا لم أعُد، سوف يُحضِرُني إليه بصوتِه، وسوفَ يبكي ويقولُ لي إنه يحِبُّني."

فأجابَ راوول : "فلنذهَبْ بعيداً عن هنا اليوم."

فقالتِ كريستين : "لا، سيكونُ ذلك غايةً في القَسوة! دعْهُ يسمعْ غنائي مساءَ غد. وعندها... عندها يمكننا أن نرحَل. إنني أُحِبُّك يا

راوول." ثمّ ارتجفَتْ وتنهَّدَتْ قائلةً: "أشعرُ أنّني إذا عُدتُ إليه مجدَّداً، فلن أرجِعَ أبداً."

قال لها راوول : "أخبريني متى رأيتِه للمرّةِ الأولى."

فأجابَتْ : "حين وقعتِ الثريّا في تلك الليلة، قادَني الصوتُ إليه. كان الأمرُ عَجيباً يا راوول. بدتْ غُرفةُ ملابِسي وكأنها تكبُر وأصبحتُ فجأةً في ممرٍّ مظلِم."

فأجابَ راوول : "لا بد أنّك كُنتِ تَحلُمين."

فأجابتِ كريستين : "لا، لقد أمسكَتْ يدٌ ضعيفةٌ وباردة بمِعْصَمي. كنتُ بين ذِراعَيْ شخصٍ ملتفٍ بمِعْطفٍ أسودَ كبيرٍ ويغطّي وجهَه قِناعٌ. حاولتُ أن أصرُخَ، لكنّه وضعَ يدَه على فَمِي. كانتْ رائحتُه كرائحةِ الأموات، ففقدْتُ الوَعْيَ. وعندما فتحتُ عينيّ، كان يرشُّ الماءَ على وجهي، ثم حمَلني ووضَعَني على ظهرِ حصانٍ أبيض."

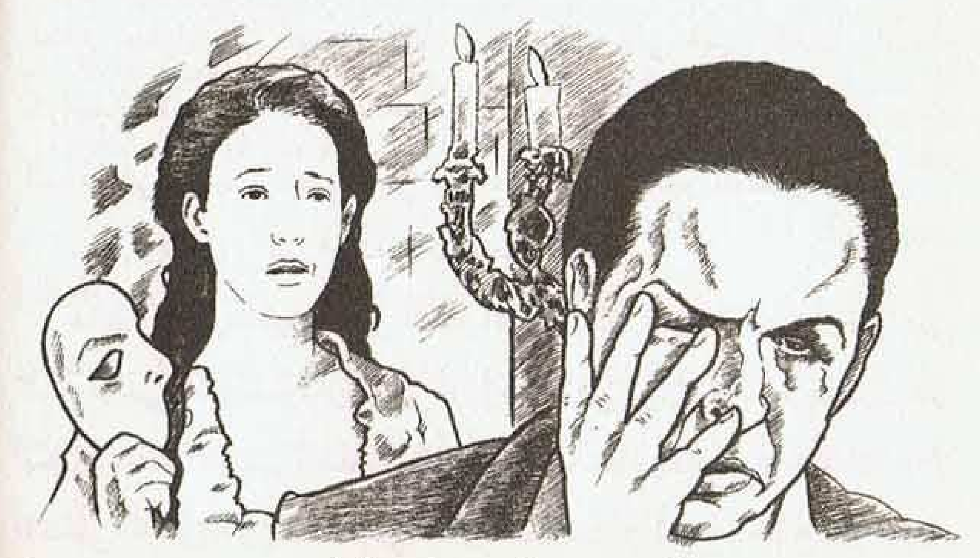
سأل راوول : "إلى أين أخذكِ الحصان ؟"

فأجابتِ كريستين : "إلى أقبيةِ الأوبرا. كنا ننزِل تحت الأرض على درَجٍ لولبيٍّ تحت ضوءٍ أزرقَ إلى أن وصلنا إلى زَوْرقٍ مربوطٍ بالقربِ من بُحيرةٍ تحتَ الأرض. وَضعَني الرجلُ فيه وأخذ يُجذِّفُ بسرعةٍ قائلاً : "لا تخافي يا كريستين، لستِ في خطر." حاولتُ أن أنزعَ القناعَ عن وجههِ فهمَس: "لستِ في خطرٍ طالما أنك لا ترَيْن وجهي." فبدأتُ أبكي، فركَعَ بقربي وقال : "لستُ مَلاكاً ولا شَبَحاً، أنا إريك."

فقال راوول : "كريستين، أشعرُ أنه سيكونُ من الخطأ أن ننتظرَ حتى مساءِ الغد. علينا أن نرحلَ الآن. وبما أننا نعلمُ الآن أنه ليس شبحاً، علينا أن نكلِّمَه. أتكرهينَه يا كريستين؟"

هزَّتِ كريستين رأسَها وقالت : "كيف لي أن أكرهَه يا راوول؟ إنهُ يُحِبُني! لقد احتجَزَني تحتَ الأرضِ بدافعِ الحبّ. غنّى لي فاستمعْتُ... وبقيت. كنتُ سجينةً في منزلِه. لكن كان عليّ أن أرى وجهَ صاحبِ هذا الصوت." ارتجفَتِ كريستين وتابعَتْ : "راوول، لقد نزعْتُ القناعَ عن وجهِه!"

أمسكَتِ كريستين يدَ راوول وهي ترتَجِفُ بقوّة، وقالت : "حتى ولو عِشْتُ إلى عُمرِ المئةِ سنة، فسأظلُّ أسمعُ صرخةَ الأسَى والغضبِ التي أطلقَها حين وقعَتْ عيناي على مَنظرِهِ المُريع! كان وجهُه



كوجْهِ رجُلٍ ميْت، لكنَّه كان حيًّا! لديه أربعةُ ثقوبٍ سوداء حيث يجبُ أن تكونَ عينيه وأنفَه وفمَه. وقعتُ على رُكْبَتيّ. فصاحَ قائلاً : "متّعي عينَيْكِ! انظُري إلى قَباحَةِ إريك!" وحين أدَرْتُ وجهي، أمسكَ بشَعْري وشدّني نحوَه."

صاحَ راوول : "كفى! قولي لي أين هو، يجبُ أن أقتلَه!"

فتابعتِ كريستين : "آه، راوول، اسْمَعْني. لقد شدَّني من شعري... كان ذلك فَظيعاً للغاية... أمسكَ يديَّ ووضعَهُما على جِلدِه المُريع وقال : "الآن وبعد أن رأيتِ وَجْهي المُخيف، لا يُمكِنُني أن أدعَكِ تتخلّين عنّي." ثم نظرتِ كريستين إلى راوول وقالت متسائلةً: "ماذا أستطيعُ أن أُضيفَ يا عزيزي؟ بَقِيتُ معه لأسبوعين. وكَذَبتُ حول المشاعرِ التي أَكُنُّها له، فأصبحَ عبدي المخلِص. كما أنَّ ثِقتَه بي زادَتْ لدرجةِ أنَّهُ أخذني إلى الخارج. لكن تلكَ الليلة التي رأيتَني فيها في المُنْتَزهِ كادَتْ تودي بي إلى الموت. كان يغارُ بشدّة، لكنّني وعدتُه في النهاية بالعودةِ إليه، فسمَح لي بالذهاب."

تأوّهَ راوولُ وقال : "تقولين إنك تُحِبينَني ومع ذلك عُدتِ إليه!"

فأجابَتْ : "أجل يا عزيزي، لكن ليس لأنّني أحبّه. بل بسببِ الصرخةِ المُريعةِ التي أطلقَها حين ودَّعتُه. إريك المسكين! إريك المسكين! كنتُ أرجو أن تهدِّئَه زياراتي لكنَّها جعلَتْ حبَّهُ لي يزدادُ حتى كاد أن يبلُغَ الجُنون."

وضعَتِ كريستين يدَيْها المرتجفتَيْن حول عُنق راوول وهمسَتْ : "إنّني خائفةٌ للغايةِ يا راوول، للغاية."

أخذتِ السماءُ ترعَدُ معلنةً اقترابَ العاصِفة، وفيما كانا يركُضان للدخول، رأيا عينَيْن حادّتين تحدِّقانِ بهما.

الفصل السادس

أين كريستين ؟

عاد راوول إلى المنزل قلِقاً من كلِّ ما رآه وسمِعَه لتوِّه.

قال في نفسِه فيما كان يستعدُّ للنوم : "سأخلِّصُها من هذا الرجلِ المُريع." وأطفأ شمعَته. وكان هناك عينانِ متوقِّدتانِ تحدِّقانِ به من أسفلِ سريرِه. لم يكُن راوول جباناً إلاّ أنه ارتعدَ، وأضاءَ الشمعةَ فاختفتِ العينان.

ففكرَ في نفسه قائلاً: "اختفَتْ عينا إريك في الظلامِ لكنَّهُ قد يكون لا يزال هنا."

فتَّشَ راوول غُرفَتَه وتحت سريرِه كالأطفالِ ثمّ أطفأ الشمعةَ مجدَّداً. فإذا بالعينَيْن تظهرانِ خارجَ نافذتِه، فأخذَ راوول مسدَّسهُ وأطلقَ النار فوقَ مستواهما بقليل.

دخل شقيقُه إلى الغرفةِ عند سَماعِه صوتَ إطلاقِ النار. رأى الكونتُ ثَقباً في النافذةِ بمستوى قامةِ رَجُل، وكان راوولُ ينْحَني من الشرفةِ ضاحِكاً وهو يقول : "آه! هناك دماء! حسناً. إن شبحاً ينزِفُ هو أقلّ خطراً."

اعتقدَ الكونتُ أنّ راوول كان يحلَمُ فهزَّهُ بعُنفٍ وصاحَ به : "هل جُنِنْت؟ استيقِظْ! لقد أطلقتَ النارَ على قِطَّة."

فأجابَ راوول : "هذا مُمكن. كلُّ شيء مُمكنٌ مع إريك."

فسأل الكونت : "ومَنْ هُو إريك؟"

قال راوول : "إنه خَصمي، سأكون آسفاً جداً إذا لم يَمُتْ. لكنَّني سوف آخذُ كريستين داييه بعيداً عنه هذه الليلة."

***

في الساعةِ التاسعةِ من ذلك المساء، توقَّفَتْ عربةٌ أمامَ دارِ الأوبرا. كانت مسرحيّةُ فوست قد بدأت، لكنّ كريستين لم تُغنِّ جيّداً في بادىءِ الأمرِ فدخلَتْ كارلوتا إلى غُرفتِها وسَخِرتْ منها فأنقذَتْها هذه السُخرية. أرادتِ كريستين أن تُجلّي مرّة أخرى، فغنّتْ بكلِّ جوارِحِها وروحِها. وفي الفصلِ الأخير، عندما كانت تتوسَّلُ إلى الملائكة، شعرَ كلُّ شخصٍ من الحاضرين أنّ له جَناحَيْن هو أيضاً.

كان راوول يقفُ مواجِهاً لها فيما كانت تَمُدُّ يدَيْها إليه وهي تُغنّي : "في روحي شوقٌ لأكونَ معك."

فجأةً، غرِقَ المسرحُ في ظُلمةٍ حالِكَة. وعندما أُشعِلَتْ مصابيحُ الزَيْتِ من جديد، كانت كريستين داييه قد اختفَتْ. ركضَ راوول إلى المسرحِ وأخذ ينادي باسم كريستين بصوتٍ مليءٍ باليأسِ وخُيِّلَ إليه أنّه سَمِعَ صِياحَها من حُفرةِ الشبحِ في الظلام. فصاحَ : "كريستين! هل أنتِ على قَيْدِ الحياة؟"

هُرِعَ إلى غُرفةِ ملابِسِها وأخذ يبكي أمامَ المرآةِ التي أتاحتْ لكريستين ذاتَ مرّةٍ بالمرورِ إلى الظلامِ السفليّ، لكنّ الزجاجَ لم يسمحْ له بالدخول.

عندما وصل رجالُ الشرطة، طلبوا التحدُّثَ إلى راوول في مكتبِ المديرَيْن. وفيما كان يدخلُ إلى الغرفة؛ همسَ أحدُهم في أذنه : "ينبغي أن يبقى سِرُّ إريك مجهولاً".

التفتَ راوول فرأى رجلاً ذا بشرةٍ داكنةٍ وعينَيْنِ خضراوين يقِفُ بقُربِه واضِعاً إصبَعَهُ على شفتيه.

سألهُ راوول : "هل ذاك الوحشُ هو صديقُك؟"

أجابَ الرجل : "سِرُّ إريك هو أيضاً سرُّ كريستين داييه."

ثمّ انحنَى ورَحَل مبتعداً.

بعدما تكلّمَ راوول إلى الشرطة، أخذ يبحَثُ عن الرجلِ ذي البشرةِ الداكنة، فوجده. وقال له : "يبدو أنّك تعرِفُ الكثيرَ لكن ليس لديَ الوقتُ لأُصْغي إليك. عليَّ أن أُساعِدَ كريستين." ثمّ حدّقَ في الرجلِ وقال له بيأسٍ : "ما الذي تعرِفُه يا سيِّدي؟ هل تستطيع أن تُساعِدَني؟"

الفصل السابع

في القبو

استدارَ الرجلُ وسارَ باتجاهِ غُرفةِ ملابس كريستين فتبعَه راوول.

قالَ الرجل : "قد أحاولَ أن آخذَكَ إليها... وإليه. قد يكونُ لا زال هنا حتّى الآن، في هذا الجدار أو هذا السقفِ أو هذه الأرضيَّة. ماذا قُلتَ للشرطة؟"

أجابَ راوول : "إنَّ شبحَ الأوبرا قد اختطفَ كريستين. لم يصدِّقوني، اعتقدوا أنَّني مجنون."

قال الرجل : "قد نُضطرُّ إلى قِتاله، يجب أن تكونَ مُستعدّاً لكلِّ شيء. إنّ هذا الرجلَ عدوٌّ لدودٌ وأخطرُ مما قد تتصوَّرُه. إنّك تُحِبُّ كريستين داييه، أليس كذلك؟"

أجابَ راوول : "بل أعبُد كلَّ ما تطأَهُ قدمُها. لكن لِمَ تريدُ أن تُجازفَ بحياتِكَ لأجلِها؟ أتكرَهُ إريك؟"

قال : "لا يا سيدي، إنَّني لا أكرهُه. لو كنتُ أكرهُه لأوقَفْتُه عند حدِّه منذ زَمَنٍ بعيد. لقد سامحتُه على الأذى الذي سبَّبَه."

ثم دخلا غُرفةِ الملابسِ الفارِغة، فاقتربَ الرجلُ من المرآة وضغطَ على الحائطِ الذي يُحيطُ بها. ثمّ قال شارحاً: ليست هذه المرآةُ سِحريّة، بل إنّها مركَّبة على نابض. لكن قد يكونُ إريك علم بقدومِنا وقَطَعَ الحِبالَ التي تُديرُه."

فجأةً اهتزّت صورةُ انعكاسِهما في المرآة. فقد أُضيئَتِ المرآةُ

وتحرَّكَتْ كالبابِ الدوّار ثمّ دارَتْ ناقلةً إياهما من النورِ إلى الظلمة الحالِكة. وفي ضوءِ الفانوسِ الخافتِ الذي كان يحمِلُه مرافقُه، لاحظَ راوول أنَّهما أصبحا في ممرٍّ ضيّق.

قالَ الرجل : "هناك طريقةٌ واحدةٌ لإنقاذِ كريستين، وهي أن ندخُلَ إلى البيت دون أن يرانا. يُمكِنُنا القيامُ بذلك من القبوِ الثالث تحت هذا الممرّ – أي في المكانِ الذي ماتَ فيه جوزيف بوكيه تماماً."

اقتربا من نورٍ في الأرضيةِ حيثُ عَبَرا باباً في الأرضِ إلى القبوِ الثالث. وكان هناكَ عددٌ كبيرٌ من الناس – العامِلونَ في تغيير الديكور ورجال الشرطة – فاختبآ لبعضِ الوقتِ في الأقبيةِ السفليةِ.

وفيما كانا ينتظران، أخذَ شيءٌ يتحرَّك في الظلامِ وتقدَّمَ نحوهما وجهٌ شديدُ اللمعانِ بدون جسدَ.

فهمسَ الرجلُ قائلاً لراوول : "لم أرَ مثل ذلك من قبل! إنه ليسَ إريك – فهو لا ينزِلُ إلى هنا أبداً– ولكن قد تكون هذه إحدى خُدَعه. توخَّ الحذر!"

ركضا في الممرّ لكي يبتعدا عن الرأس، لكنَّه ظلّ يتبَعُهُما وهو يُصدِرُ صوتاً كصوتِ آلافِ الأظافرِ على لوح. ثمّ أصبحَ الوجهُ قريباً جداً. كانت عيناهُ كبيرتَيْن وجاحظتَيْن، وكان أنفُه أعوجَ وشفتُه السفلى غليظةً ومتدلّيَة.

لم يعُدْ بإمكانِهما التقدُّم أكثر، فألصقَ راوولُ والرجلُ جسدَيهما على الحائطِ عند نهايةِ الممرّ. وسرعانَ ما أصبحَ الوجهُ على نفس

مستواهما! اقشعرّ بدَنهما من الذُعر. ثمّ أدركا ما هو مصدرُ هذا الصوت. إنّها الجرذان! لقد تسلَّقَتْ ملابسَ الرجلين، وأخذت تعضُّهما وتنشُبُ فيهما أسنانَها.

قال الوجه : " لا تتحرّكا! لا تتحرَّكا! إنَّكُما بأمان. إنّني صائدُ الجُرذان، دَعَاني أمرٌ مع جُرْذاني فقط."

تابعَ صائدُ الجُرذان سيرَه جاذِباً وراءَهُ مجموعاتٍ من الجرذان التي تخدِشُ الأرض – فتنفَّسَ الرجلانِ الصُّعَداء.

قال راوول : "لا بدّ أننا قريبانِ من البحيرةِ السُفليّة. من فضلِكَ، خُذْني إلى هناك فوراً يا سيّدي."

فأجابَ مرافقُه : "لا، لا يُمكنُنا الدخولُ إلى منزلِه عبرَ البحيرةِ فهي محروسةٌ بشدّة. لقد كُدتُ بنفسي أن أُقتلَ هناك."

قال راوول : "إذا كنتَ لا تستطيعَ أن تُساعِدَ كريستين، فدَعْني على الأقلّ أموتُ في سبيل إنقاذها. كيف ندخلَ إلى منزلِه دون أن نعبُرَ البحيرة؟"

فأجابَ الرجل : "كما قلتُ لك، من القبوِ الثالث يا سيدي. من الأسلَم لنا أن نعودَ إلى هناك الآن، و سأقولُ لك في طريقِنا كيف التقيتُ بإريك للمرّة الأولى..."

الفصل الثامن

قصّةُ الفارسيّ

بدأ الرجلُ قصّتَه قائلاً : "تعرّفْتُ للمرّةِ الأولى بإريك في وطني، بلاد فارس. كانت حياتُه حتى ذلك الحين تعيسةً جداً. فقد وُلِدَ هنا في فرنسا لكنّ بَشاعَتَهُ سبّبتْ ذُعْراً كبيراً لوالديهِ لدرجةِ أنَّهُ هربَ من منزله. وكان يُعرَضُ في العديدِ من المعارِضِ المتنقلةِ حولَ أوروبا بصفتِهِ "جثّةً حيّةً". فتعلّم فنَّ الموسيقى والسِحر ولم يكُنْ له مثيلٌ في الغِناء – كما أنه تعلَّم أن يتكلَّمَ من دونِ أن يحرِّكَ شفتيْه وكأنَّ الكلامَ صادرٌ من شخصٍ آخر. لقد سمعتَ كيف جعلَ كارلوتا تنقّ. ثم سَمِعَ عنه الشاه في بلادِ فارس فدعاهُ للمجيء إلى بلده لكي يسلّيه هو وزوجتِه.

كان إريك رجلاً فطِناً جداً. فبَنَى للشاه قصراً مليئاً بالخُدعِ ليتمكّن هذا الأخير من التحرّكِ فيه والخروجِ منه من دونِ علْمِ أحد. لكنّ الشاه لم يُرِد أن يملكَ أيُّ شخصٍ قصراً كهذا فأمر بقتل إريك. وكنتُ آنذاك رئيساً للشرطةِ هناك فساعدْتُ إريك على الفِرار.

ثم أُرغِمتُ على مُغادرةِ بلادِ فارس وأتيتُ للعيشِ في باريس. وكان إريك قد تعبَ من عيشِ حياتِهِ كأعجوبةٍ فقرّرَ أن يعيشَ حياةً طبيعيّةً وأن يعملَ في تصميمِ المباني العاديّة. وحين تقرّرَ بناءُ دارِ الأوبرا هذا في باريس، كُلِّفَ إريك بتصميمِهِ وبناءِ أساساتِه.

إلا أنه حينَ وجدَ نفسَه تحتَ الأرض، عادت رغبته إلى كلّ ما هو

غريب. وبما أنّه أعجوبةٌ بَشِعة، فلمَ لا يبني له شخصيًا بيتاً تحتَ الأرضِ بقربِ البحيرةِ السفليةِ حيثُ يمكِنُه أن يختبئَ عن أعيُنِ الناس لبقيَّةِ أيامِ حياته؟

يا لإريك المسكين والتعيس! هل نُشفِقُ عليه أم نلعنُه؟ لم يكُن يُريد سِوى العيشَ حياةً طبيعيةً كالآخرين – غير أنّه كان بشِعاً جداً. ولو كان له وجهٌ عادي، لأصبحَ رجلاً عظيماً. كان باستطاعتِهِ عندئذٍ أن يقومَ بالخدعِ بعبقريّتِهِ فقط.

كان بإمكانهِ أن يمتلكَ العالم. لكنه عوضاً عن ذلك اكتفى بقبوٍ.

عندما أتى إريك لكي يعيشَ نهائياً قربَ بحيرةِ دارِ الأوبرا، عُشتُ في ذُعرٍ مستمرٍّ ممّا قد يفعلُه – على الرغمِ من أنه قال لي إنّ تصرفاتِه قد تحسّنت. فكلّما طرأَ حادِثٌ، كان الجميعُ يلومُ الشبح، وكنتُ أشكُّ به. كنت غالباً ما أطلبُ منه أن يدعَني أزورُ منزلَه، لكنّه كان يرفُضُ دائماً. فبدأتُ أراقِبُه من ضِفةِ البحيرةِ الأخرى طيلةَ الوقتِ لأرى كيف يدخلُ إلى منزلِهِ إلا أنّني لم أتمكّنْ من الرؤيةِ بوضوحٍ بسببِ الظلام.

بعد تلك الليلةِ الفظيعةِ التي وقعَتْ فيها الثُريّا، قررتُ أن أتحدَّثَ إليه. فركِبتُ زورقَهُ وجذَّفْتُ بهِ حتى وصلتُ إلى الجدارِ الذي غالباً ما رأيتُ إريك يَختفي منه إلى داخلِ منزله. وعلى الفورِ اخترقَ السكونَ صوتُ غناءٍ كان يتصاعَدُ من مياهِ البحيرة. انحنيتُ فوقَ حافّةِ الزورقِ لأُصْغي وكنتُ متأكداً أنها إحدى خُدَع إريك. فأمسكتْ يدانِ بعنقي وبدأتا تشدّاني إلى الماء. صرختُ فعرفَ إريك صوتي ولم يُغرِقْني بل جرّني إلى الضِفّة وسألني : "لماذا تُحاولُ أن تدخُلَ

منزلي؟ أنا لم أوجِّهْ دعوةً إليك! هل أنقذتَ حياتي في ما مضى لتجعلَها لا تُطاق؟" ثمّ ضَحِكَ بفظاعَةٍ وأراني قصبةً كبيرة ثمّ قال : "يمكِنني أن أبقَى تحتَ الماءِ عدَّةَ ساعاتٍ إذا استعملتُها للتنفُّس. والآن ارحلْ من هنا ولا تعُدْ أبداً."

فسألتُه : "ماذا عن الثريَّا يا إريك؟"

فضحِكَ مرّة ثانية. وحين كان إريك يضحك، كان مظهرُه مُرْعباً أكثر من أيِّ وقتٍ آخر. ثمّ دفعني عن الضفّةِ واختفى في ظلامِ البُحيرة.

بقيت أعيشُ في خوفٍ مستمرّ مما قد يفعلُه إريك بالآخرين في دار الأوبرا. وكلّما تحدّثَ الناسُ عن الشبحِ، كنتُ أرتجِفُ – وحبّذا لو عرفوا أنه موجودٌ حقاً! كان وَحْشاً كريهاً.

ورغم ذلك، فإنّ صوتَه العذْب جعلَ كريستين داييه تنسى بشاعَتَه عندما كان يُغنّي. سمِعْتُهُ مرّةً بالصدفةِ في غُرفة ملابسها، وذُعِرتُ حين وجدتُ الممرَّ السريَّ وراءَ المرآة. وحين اختفَتِ كريستين لمدّةِ أسبوعَيْن، بدأتُ أتبعُه – إلى أنْ أدركت أنَّه هو الذي كان يتَبعُني! فحذّرني أنه إذا انكشفَ سِرُّهُ فسوفَ يقضي على العديدِ من الناس.

ففسّرتُ له قائلاً : "لستُ أبحثُ عنك يا إريك، بل عن كريستين داييه. إنك تحتجِزُها سجينةً."

فأجابَ : "إنّك على خطأ. إنها تُحِبُّني لما أنا عليه، وسوفَ أُثبِت لكَ ذلك. سأدعُها تأتي وتذهبُ على هَوَاها."

فقلتُ : "أثبِت ذلك! وسأدعُك حينذاك تعيشُ بسلام."

قال : "حسناً. ستكون كريستين في الحفلِ التنكُّريّ هذه الليلة. وستعودُ إليّ بعده لأنها تُحبُّني. ستتزوَّجُني، لقد انتهيتُ من وضعِ مقطوعَةٍ موسيقيةٍ لِزفافنا."

ثم تفاجأتُ حين رأيتُ أنّ الأمورَ حدثَتْ تماماً كما قال. وكما تعلم، فإنّ كريستين لا تنفك تعودُ إلى منزله. لكنني بقيت قلِقاً عليها. وكانت فكرةُ وُجودِ مَدخلٍ آخر لمنزلِه في القبوِ تلازِمُني. فكنت أراقِبُ وأنتظِرُ في الظلام. وذات يومٍ، حضر إريك ليرى لوازِمَ التزيين التي كانت مخزَّنةً هنا. ثمّ ضغطَ على زُنبركٍ فتحرّكَتْ حَجرةٌ في الجدار، فدخلَ وأُغلقَتْ وراءَه.

خشيتُ كثيراً أن ألحقَ بِه ذاك النهار. فلم أقدِرْ أن أنسى أنّ جوزيف بوكيه تُوفِّي في هذا المكان نفسه – ثم تذكّرتُ تحذيرَ إريك. غير أني كنت أراقِبُ كريستين عن كَثَب. لقد كان إريك يُرعِبُها، كان ذلك واضِحاً. إنها لم تحبَّ سواك.

إذاً، كما ترى يا صديقي، كنتُ أستعدُّ للتدخُّلِ حين اختُطفتِ كريستين هذه الليلة. وسأُنقِذُها – طبعاً بمساعدَتِكَ يا سيد شانيي."

الفصل التاسع

غرفةُ التعذيب

أخيراً وصلَ الفارسيُّ ومعه راوول إلى القبوِ الثالث. كان الجميعُ قد رحلَ الآن. فزحفا على الأرضِ حتّى وصلا إلى الحائطِ في نهايةِ الممرّ. ضغطَ الفارسيُّ على الحِجارةِ فتحركَتْ إحداها مُفسِحةً أمامهما الطريق، فدخلَ من الفتحَةِ وأشارَ إلى راوول بأن يتبَعَه، وقال له :

"هناك درجةٌ مرتفعةٌ، احذَرْ من الوقوع!"

ثمّ تسلّلا بهدوءٍ إلى غرفةٍ سفليَّة. أنارَا بمصباحَيْهما غرفةً سداسيّةَ الزوايا ويوجدُ مرايا على جميعِ جدرانها. وكانت تنتصبُ في إحدى أركانها شجرةٌ حديديّة. كانت صورتُها تنعكسُ في جميعِ المرايا بحيث يبدو وكأنَّنا في وسطِ غابةٍ كبيرة. وكان هناك حبلٌ مُلْقًى على الأرض.

همسَ الفارسي : "إننا موجودون في غرفةِ تعذيبِ إريك." وصمت ليُصْغي وقال : "صَه...! إنّه إريك!"

وكان مصدرُ صوتِ إريك قادماً من الجهةِ الأخرى من الحائط:

"عليكِ أن تختاري يا كريستين. هل تريدين أن تسمعي قُدّاسَ الزفاف أم القُدّاسَ الجنائزيّ؟"

تأوّهتِ كريستين لدى سماعِها كلماتِه. أما راوول فقد كان يودُّ لو يخترقَ الجدارَ لفكّ أسرِها.

وتابعَ إريك : "لا يُمكنُني أن أستمرّ بالعيشِ كالخُلدِ تحت الأرض. أريدُ أن أعيشَ مثل الآخرين. ستكونين أسعدَ النساءِ يا كريستين. لكنّكِ تبكين! إنكِ تخافين منّي. لستُ شرّيراً. إذا أحببْتِني، بإمكاني أن أكونَ وديعاً كالحمَل."

التزمتِ كريستين الصَّمْتَ، لكنّ إريك أخذ يبكي من اليأس. ثمّ رنَّ صوتُ الجرسِ وسَمِعا إريك يَصْفُقُ البابَ مغادراً. أخيراً، أصبحتِ كريستين وحدها.

صاحَ راوول : "كريستين! كريستين! أتينا لإنقاذكِ! حذّرينا عندما تسمَعين خُطى إريك عائداً! إننا في غرفةِ التعذيب! أيمكِنكِ أن تفتحي لنا بابَ المنزل؟"

صرخَت كريستين : "لا، لقد قيّدني. لقد أصبحَ مجنوناً من الحبّ فقرّرَ أن يقتلَ نفسَه وكلَّ من معه إذا لم أصبحْ زوجته. عليَّ أن أقرّرَ قبلَ الساعةِ الحادية عشرة من مساءِ غدٍ. إن مفتاحَ البابِ موجودٌ في محفظةٍ جلدية." حاولتِ كريستين أن تحرّرَ نفسها، لكنَّها لم تستطِعْ. فصاحَتْ : "لا تَبْقَيا هنا! إريك مجنون! صه! إنّني أسمعُ خُطاه."

قال الفارسيّ : "تذكري أنّه يحِبُّكِ. ابْتسِمي له وقولي له إنَّ الحبالَ تؤْلِمُ يديْكِ."

أخذتِ الأرضيّةُ تطأطىءُ في الجهةِ الأخرى من الحائطِ فصرخَتِ كريستين بصوت عالٍ : "إنّني أتألَّم يا إريك. أرجوكَ أن تَفُكَّ هذه الحِبال."

فقال : "أجل، سأُحرِّرُكِ. لقد يئستُ من هذه الحياة كما تعلمين. ليس عليك سوى أن ترفُضي أن تتزوّجي بي وسننتهي جميعاً من هذه المِحنة. إنك حرّةٌ الآن... آه، يا كريستين المسكينة! انظري إلى

مِعْصميك، لقد آذَيْتُهما." ثمّ توقّفَ عن الكلامِ وبكَى مجدَّداً وتابعَ قائلاً: "هذا الرجل الذي أتى إلى بابي لتوّه... كان يُشبه... لماذا، آه، لماذا أتى إلى بابي؟ لقد ماتَ وعليَّ أن أغنّي قُدّاساً جنائزياً له..."

بدأ إريك يُغنّي فطغى صوتُهُ عليهم جميعاً، تارةً يرتفِعُ وطوراً ينخفِضُ كصوتِ العاصِفَة. ثم، توقّفَ فجأةً وصاح بعُنْف : "ماذا فعلتِ بمِحْفَظتي يا كريستين؟"

أجابَت : "أردتُ أن أنظرَ إلى الغُرفةِ المجاوِرة فلم يسبِقْ لي أن رأيتُها. أنا امرأة، وأنا إذاً فُضولية."

فصرخ : "إنني لا أُحبُّ النساءَ الفُضُوليات، أعيدِي إليَّ مِحفظتي فوراً!"

ثم أخذ يضحكُ فيما كانت كريستين تُطلِقُ صيحةَ ألمٍ. وكان واضِحاً أن إريك قد أخذ المِحفظةَ منها. أما راوول فصرخَ أيضاً هو الآخر.

فسألَ إريك : "أسمعتِ هذا يا كريستين؟ إنها صَرْخة."

فأجابَتْ : "لا، لقد صرختُ لأنك تؤلِمني."

فصاحَ إريك : "إنّكِ تكذِبين! هناك أحدٌ في غرفةِ التعذيب. ربما كان الرجلُ الذي تريدينَ الزواجَ منه؟" وضَحِكَ بجنونٍ ثم تابَعَ : "حسناً، سنكتشِفُ ذلك قريباً يا كريستين. تسلّقي هذه الدرجات وألقي نظرةً من تلك النافذة الصغيرة هناك وأخبريني كيف يبدو."

فصاحَتِ كريستين : "لا! إنّني خائفة! لا آبهُ بتلكَ الغرفة الآن."

أجاب إريك : "اذهبي يا عزيزتي."

سَمِعَ راوول والفارسيُّ صوتَ كريستين فوق رأسَيْهما وهي تقول:

"لا يوجدُ أحدٌ هنا يا عزيزي. لِمَ تدعوها غرفةَ التعذيب يا إريك؟ لا أرى سوى غابةٍ جميلة."

بدأ إريك يضحكُ وصاح : "إنها غابةٌ استوائية! ويلٌ لمن يأتي إلى غرفةِ التعذيب الخاصة بي. ها!ها!ها!"

كان صوتُه الساحِرُ يملأُ المكانَ ويخترقُ الجدران ماراً بين الفارسي وراوول.

فقالتِ كريستين وهي تئِنّ : "أرجوك، توقّف يا إريك! الحرُّ شديدٌ هنا. أجل، إنّ الحائط بدأ يسخُن."

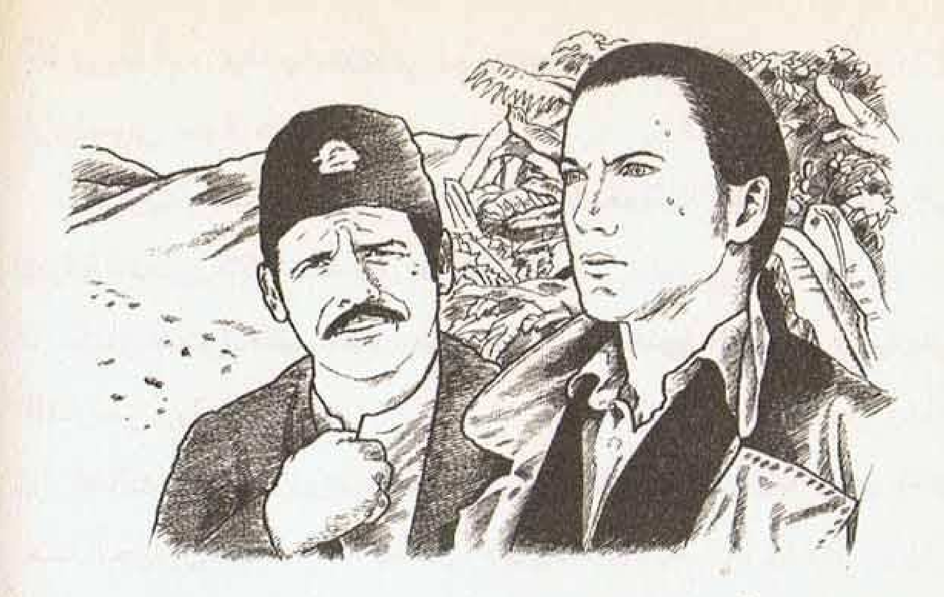
استمرّ إريك بالضَّحِكِ بفظاعَةٍ لدرجةٍ دفعتْ راوول إلى ضربِ الحائِطِ كالمجنون. ثم سُمِعَ صَفْقُ بابٍ في الجهة الأخرى وعمّ السكونُ المكان.

كانت غرفةُ التعذيبِ تزدادُ سخونةً حتّى أصبحتِ الحرارَةُ فيها لا تُطاق. أخذ راوول يذرَعُ الأرضَ جيئةً وذهاباً منادياً اسم كريستين. وكان التعذيبُ قد بدأ يؤثّر على عقلِه.

قال له الفارسيّ مهدّئاً : "إنّنا في غرفةٍ سحريةٍ وحَسْب. إنني أعرفُ معظَمَ خُدَعِ إريك. سنغادرُ هذه الغرفة ما إن نجدَ مخرجاً لها. أرجوكَ أن تُحافظ على هدوئِك يا سيِّدي وأن تدعَني أعثُرُ على هذا المخرج."

أخذ الفارسيُّ يلمُسُ ألواحَ الزجاج بِحَذَرٍ باحثاً عن زُنبركٍ مخبأً فيها. كانت الحرارةُ شديدةٌ وكانا يشعرانِ بالعطشِ الشديد. وحين حلَّ الظلام، سَمِعا زئيرَ أسد.

ففسّر الفارسي : "إنّه إريك. لقد اكتشَفَ طريقةً لتقليدِ صوتِ زئيرِ الأسدِ بشكلٍ ممتازٍ."



بدأتِ الغابةُ تتحوّلُ إلى صحراءَ قاحلة. وكلما كان الوقتُ يمرّ، كانا يشعران باقتراب الموت بسببِ الحرارة والعطش.

فهمسَ راوول : "انظُرْ! توجدُ واحةٌ أمامنا! وبإمكاني سماعُ صوتِ المطر!"

فصاحَ الفارسيّ : "إنَّها أسوأ خُدَعه! إنه يَرْمي حَصًى صغيرةً في علبةٍ ليقلّدَ صوتَ المطر. فإذا أملَ شَخصٌ بوُجودِ الماء ولم يَجِده فسيشنُقُ نفسَه على تلك الشجرة. إنّني متأكّدٌ أن هذا هو ما حصلَ لجوزيف بوكيه المسكين."

وفيما كانا يزحَفانِ في أرجاءِ الغرفةِ بيأسٍ، رأى الفارسيُّ مسماراً أسودَ الرأسِ على الأرضِ فضغطَه. وعلى الفور ظهرَتْ في الأرضِ فُتْحةٌ تؤدّي إلى قبوٍ آخر. فنزلا الدرجَ متعثّرين ووصلا إلى غرفةٍ باردةٍ مليئةٍ بالبراميل. أخرَج الفارسيُّ سِكّيناً من جيبه وبدأ يحاولُ فَتْحَ إحداها.

فصاح راوول : "هذا ليس ماء! إنه بارود!"

الفصل العاشر

العقربُ أم الجُندب ؟

تذكّر راوول والفارسي ما قاله إريك لكريستين. "لقد قرّرَ أن يقتلَ نفسَه وجميعَ من معه إذا لم تُصبحْ زوجته." وكان لديها مهلةٌ حتى الساعةِ الحادية عشرة لكي تقرّر. لقد اختارَ إريك هذا الوقت جيداً، فدارُ الأوبرا تكون مليئة بالناس في ذلك الوقت.

خطرتْ فكرةٌ فظيعةٌ في ذهنِ الفارسيّ. كم من الوقتِ مضَى على احتجازِهما في غرفةِ التعذيب؟ وصَعِدا الدرجَ مذعورَيْن وناديا كريستين قائلَيْن: "كم الساعة؟"

فأجابَتْهما : "الحاديةَ عشرة إلاّ خمسِ دقائق. الساعةُ التي تُقَرِّرُ فيها الحياة أو الموت." تنفّستِ كريستين الصُّعَداء، إذ لم تكن تتوقّعُ أن يكونَ راوول على قيد الحياة، وصاحَتْ : "لقد مزّقَ إريك قناعَهُ! لقد جُنّ تماماً. لقد أعطاني من محفظتِه مفتاحاً برونزياً يفتح علبتَيْن عاجيَّتين. يوجَدُ في إحداهما عَقْربٌ برونزي، وإذا قَلبتُه فهذا يعني الإيجاب وسيتوجَّب عليَّ أن أتزوجَهُ. ويوجد في الأخرى جُنْدبٌ برونزي، ويعني الرفض وسوف يفجِّرنا جميعاً. لقد تركني وحيدة وأعطاني هذه الدقائقَ الأخيرة لأقرّر."

صاحَ الفارسي : "أين أنت يا كريستين؟"

أجابت : "أقفُ قُربَ العقرب."

فصرخ : "لا تلمسيه! قد يكون إريك قد خدعكِ مُجدَّداً. ربما كان العقربُ هو الذي سينسفنا جميعاً، وربما يكون إريك قد فرّ وتركنا هنا لكي نموت."

لكنهم ما لبثوا أن سَمِعوا خُطاه.

فصاحَ الفارسي : "إريك! أنت تعلم من أنا، أليس كذلك؟"

فأجاب إريك : "إذاً أنت لم تمتْ يا صديقي؟ لا تنبسْ بأيّ كلمةٍ وإلاّ فجّرتَ كلَّ شيء. والآن أصغي إليّ يا كريستين! إذا أدرْتِ الجُندب، فسوف نتحوّلُ جميعنا إلى أشلاء. لكن إذا أدرْتِ العقرب، فسوف أفتحُ المياه لإغراق البارود. أعِدُكِ بذلك. أمامك دقيقتانِ حتى تقرّري."

ثم سادَ سكونٌ رهيب. فركعَ راوول وبدأ يصلّي.

قالت كريستين أخيراً : "إريك! لقد أدرتُ العقرب!"

شعرَ راوول والفارسي بصوت عالٍ وعميقٍ تحت أرجلهما. ثمّ سَمِعا صوتَ خرير الماء، فنظرا إلى الأسفل وإذا بالبراميلِ مغمورةٌ بالمياهِ فروى كلاهما عطشه. لكنّ الماءَ كان يواصلُ صُعُودَه.

فصاحا : "أدِرِ العقرب الآن يا إريك! هذه المياه تكْفي لغمر البارود!"

لكن أحداً لم يُجِبْ من الغرفةِ الأخرى. لقد كانا لوحدهما في المياهِ المتدفقةِ، متمسّكينَ بالشجرةِ الحديديّة. وكان الماءُ يزدادُ ارتفاعاً.

فصاحَ الفارسي : "إريك! تذكر أنّني أنقذْتُ حياتَك في ما مضى!"

ثم بدءا يسبحَان محاولينَ إيجادَ مخرجٍ، لكن قواهُما ما لَبِثَتْ أن خارَتْ. وعندئذٍ بدءا يدورانِ في المياهِ حتّى غمرَتْهُما المياهُ الحالِكة....

***

عندما فَتحَ الفارسيّ عينَيْه بعد بضعةِ أيام، وجد نفسَهُ في منزله. وعرفَ من خادِمِه أن أحداً لم يرَ راوولَ في باريس، وأن مُصيبةً أكبر قد حلّت، فقد عُثِرَ على جثّةِ شقيق راوول على ضِفّة البحيرة تحت دارِ الأوبرا.

فكّرَ في نفسهِ قائلاً: "لا شكّ في أنّ الكونت المسكين كان يحاولُ العثورَ على أخيه. إنّه الزائرُ الذي قرعَ الجرسَ عندما كنا في غرفةِ التعذيب."

ثم أعلن خادِمُه عن وُصولِ رجلٍ غريبٍ لم يُفصِحْ عن اسمِه. ثم دخلَ إلى غرفته رجلٌ يختفي داخلَ مِعطفٍ كبير وقبّعة.

كان يبدو ضعيفاً جداً ثم اتكأَ إلى الحائطِ ونزعَ قبعتَهُ كاشِفاً عن قناعِهِ الشّبحي.

إنّه إريك.

صاحَ الفارسي : "لقد قتلتَ الكونت فيليب! ماذا فعلتَ بأخيه وكريستين داييه؟"

فتنهّدَ إريك وقال : "كان ذلك حادِثاً. كان الكونت فيليب ميتاً حين غادرتُ منزلي... لقد سقطَ في الماء... وقد جئتُ إلى هنا... لأقول لك... إنّني سأموت... سأموت من الحب..."

سألَ الفارسيُّ وهو يهزّ ذراعَ إريك : "أهي على قيد الحياة أم لا؟"

فـأجـابَ إريك : "أجل، أجل، إنـهـا على قيدِ الحياة. لقد أنقذتْ حياتَك. كنتَ تـغـرقُ وجاءت إليّ كريستين بعينَيْها الزرقاوَيْنِ الجميلتين وتوسّلت إليّ لكي أُوقفَ المياه. وبعد نصفِ ساعة، كان كلُّ شيءٍ قد عاد إلى طبيعتِهِ في البحيرة."

صرخ : "ما الذي فعلتَه براوول دو شانيي؟"

أجابَ إريك : "لقد ظلّ رهينةً عندي لفترةٍ من الوقت. حجزتُه في القبو الخامس الذي لا يأتي أحدٌ إليه. وكانت كريستين تنتظرُني. عروسٌ حقيقيةٌ وحيّة... فقبّلتها... لم تكن أمي تسمحُ لي بأن أقبّلَها! كانت تهرُبُ مني عادة... وترمي إليّ قناعي! لم تقبّلْني قطُّ امرأةٌ أخرى... ركعتُ عند قدمي كريستين... فبكت!" تنهّدَ إريك بصوتٍ مرتفعٍ ثم تابع : "نزعْتُ قناعي لأشعُرَ بدموعِها على وجهي، فلم تهرُبْ. وبكينا سويّة. لقد ذُقتُ السعادةَ أخيراً!" ثم جلسَ إريك على كرسيّ يلتقطُ أنفاسَهُ وتابع : "أمسكتْ يدي... فأعطيتُها خاتماً ذهبياً كهديةِ عُرس... أما راوول." توقفَ إريك ثم تابع : "إنني أختنِق. عليّ أن أخلعَ القِناع. لا تنظُر إليّ."

ذهب الفارسي لينظر من النافذة وقلبُه مليءٌ بالشفقةِ على إريك.

فتابعَ إريك : "أطلقتُ سَراحَ الشاب وقُلتُ له أن يأتي معي إلى كريستين. وجعلتُ كريستين تعِدُني بأن تعودَ حين أموتُ لتدفِنَني سرّاً... أخبرتُـها عن المكان الذي تجِدُ فيه جثّتي. عندهـا قبّلتني كريستين للمرة الأولى، هنا على جبيني... لا، لا تنظر! ثم غادرا سويّةً على أملِ أن يَجِدا قسّاً في مكان ناءٍ ليزوّجهما."

لم يطرحِ الفارسيُّ عليه المزيدَ من الأسئلةِ. فلم يكُن من الممكن



أن يَشُكَّ أحدٌ بكلماتِ إريك اليائِسِ في تلك الليلة. وضَعَ الوحشُ قناعَهُ على وجهه من جديد.

ثم قال : "قبل أن أموتَ سأرسِلُ إليك الأغراضَ التي تركتْها كريستين – وهي عبارة عن قفّازٍ وربطةِ حذاءٍ ومنديلان. عندما تستلمُها، أرجوك أن تضعَ نعوتي في الصحيفةِ لكي تقرأها."

وكان هذا كلُّ شيء. غادرَ إريك وصَعِدَ في عربةٍ كانت تنتظره، وقال للسائق : "خذني إلى دار الأوبرا."

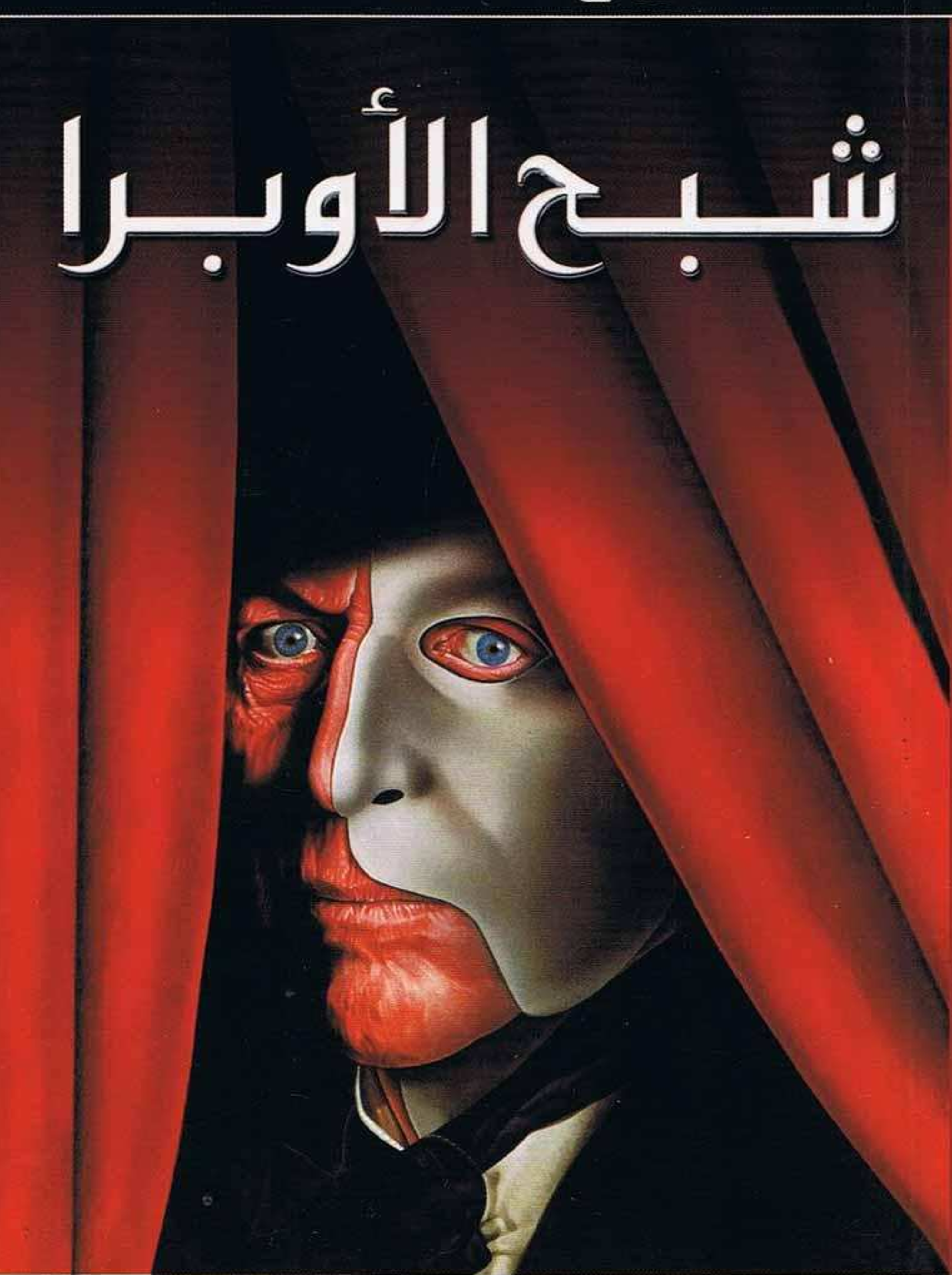
بعد ثلاثةِ أسابيع، ظهرَ في صحيفةِ باريس الإعلان التالي: لقد مات إريك.

خاتمة

خلالَ أعمالِ البناءِ التي جَرَتْ في دار الأوبرا بعد ثلاثينَ عاماً، عُثرَ على هيكلٍ عظمي. وكان موجوداً في المكانِ عينه الذي حملَ فيه إريك كريستين مغمياً عليها بين ذراعيْهِ للمرّةِ الأولى ونقلها إلى بيتهِ قربَ البحيرة.

وكان في إصبعِه خاتَمُ زفافٍ ذهبيّ.

أروع القصص العالمية



أكاديميا